المحاضرة الاولى

المادة

بلاغة الحديث النبوي الشريف

للمرحلة الثانية

قسم الحديث وعلومه

مدرس المادة : م.م وليد ياس خضر

علم البلاغة

نشأته

تطوره

تعريفه

علومه

أهدافه

نشأته ومصادره

إن القبة الحمراء التي كانت تضرب للنابغة الذبياني بسوق عكاظ في
العصر الجاهلي، ليجلس تحتها، ويأتي إليه الشعراء، ويعرض عليه كل منهم شعره
ليميز هو بين حسن الشعر ورديئه، ويختار أفضله لتدل دلالة واضحة على أن هناك
مقاييس معينة كان يختار وفقها أفضل الشعر، وهذا دليل على أن العرب في الجاهلية
. قد عرفوا البلاغة، ولكن البلاغة الفطرية البسيطة البعيدة عن التقعيد والتعقيد ولا بد من الإشارة إلى أن البلاغة في بدايتها أطلق عليها اسم البديع.
ومن هذا المنطلق أطلق ابن المعتز على كتابه اسم البديع بالرغم من أنه تناول فيه
مختلف ألوان البلاغة من استعارة وتشبيه وكناية وتعريض بالإضافة إلى ألوان البديع.

وقد أطلق عليها اسم البيان، ومن البلاغيين الذين أطلقوا عليها هذا الاسم "ابن وهب صاحب كتاب: البرهان في وجوه البيان، وضياء الدين ابن الأثير صاحب
كتاب: المثل السائر والبلاغيون أنفسهم أقروا هذه التسمية بقولهم: "إن وجه تسمية
الجميع علم البيان يرجع إلى أن معنى البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير ولا شك أن العلوم الثلاثة - المعاني والبيان والبديع - لها تعلق بالكلام الفصيح المذكور .

ويقول بدوي طبانة: (إن المتقدمين كانوا يسمون علم البلاغة وتوابعها بعلم نقد الشعر، وصنعة الشعر، ونقد الكلام، وفيه ألف أبو هلال العسكري كتابًا سماه: الصناعتين ويعني بذلك النظم والنثر ، وألف قدامة بن جعفر الكاتب كتابًا سماه: نقد
الشعر).

وأول من تناول علوم البلاغة بالبحث الجاحظ المتوفى عام 225 هـ ، في كتابه البيان والتبيين، ولكن تناوله لها كان بسيطًا، وغير منظم، ولا مقعد، ومن المسائل، التي تناولها:

1- الكلام على صحة مخارج الحروف، ثم على العيوب التي سببها اللسان أو " الأسنان أو ما قد يصيب الفم من التشوه.

2- الكلام على سلامة اللغة، والصلة بين الألفاظ والعيوب الناجمة من تنافر الحروف.

3 -الكلام على الجملة والعلاقة بين المعنى واللفظ ثم على الوضوح والإيجاز والإطناب والملاءمة بين الخطابة والسامعين لها والملاءمة بين الخطبة وموضوعها.

4 - الكلام على هيئة الخطيب وإشاراته.

ثم جاء بعده عبد الله بن المعتز المتوفى عام 296 هـ، وألف كتابه: البديع، فجعل للبديع خمسة أنواع هي: الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، ورد الأعجاز على ما تقدمها، والمذهب الكلامي، وجعل محاسن الكلام في الشعر ثلاثة عشر هي: الالتفات، والاعتراض، والرجوع، وحسن الخروج، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتجاهل العارف، والهزل الذي يراد به الجد، وحسن التضمين، والتعريض والكناية، والإفراط في الصفة، وحسن التشبيه، وإعنات الشاعر نفسه في القوافي، وحسن الابتداء .

وقد ألفه " ليبين أن المحدثين لم يخترعوا البديع وإنما وجد عند العرب منذ القديم في العصر الجاهلي وفي القرآن الكريم، والعصر الإسلامي ".

وقال فيه: "إنه لم يسبق إلى جمع علوم البديع ومن أراد من الباحثين بعده أن يضيف إلى ما جمع شيئًا فله ذلك ومن اقتصر عليه فله أيضًا اختياره 9 ".

ولا بد من الإشارة إلى أن "أبا هلال العسكري قد نقض دعوته هذه وقال إن القدماء قد عرفوا البديع قبله.

"وجاء بعده قدامة بن جعفر المتوفى عام 337 هـ فألف كتابه: نقد الشعر، وأشار إلى أنه قد ألفه ليكمل النقص في أقسام البيان الذي لاحظه بكتاب الجاحظ: البيان والتبيين. وقد تحدث في كتابه عن صفات جودة الشعر وهي عنده مقاييس البلاغة. أما محاسن الكلام عنده فهي:" الترصيع، والغلو، وصحة التقسيم، وصحة المقابلات، وصحة التفسير، والتتميم، وهو الاعتراض عند ابن المعتز، والمبالغة، والإشارة، والإرداف والتمثيل والمقابلة، والتوشيح وهو رد أعجاز الكلام على ما تقدمها عند ابن المعتز، والإيغال، والتكافؤ ويعني به الطباق ".

تأسيس علم البلاغة وتطوره

مؤسس علم البلاغة:

لقد بحث في البلاغة العربية الكثير من الدراسين العرب منهم الجاحظ في كتابه: البيان والتبيين ، وقدامة بن جعفر في: نقد الشعر، لكن ما كتبوه فيها لم يكن: غير آراء وإشارات لم يرتقوا بها إلى أن تكون فنًا قائمًا بذاته وفق أسس وقواعد محددة يسير على هديها الأدباء، وتقاس بمقاييسها فنية أدبهم وسر جماله.

والذي صاغها فنًا له قواعده ومبادئه هو عبد القاهر الجرجاني، وقد اعترف له أكثر العلماء ومنهم يحيى بن حمزة الحسيني صاحب كتاب: الطراز في علوم حقائق الإعجاز ، حيث جاء في مقدمة كتاب أسرار البلاغة لناشر الكتاب (محمد رشيد رضا) عن رأي الحسيني في ذلك: "وقد جاء في فاتحة كتابه هذا وهو من أحسن ما كتب في البلاغة بعد عبد القاهر (والرأي لناشر الكتاب محمد رشيد رضا) ما نصه: "أول من أسس في هذا الفن قواعده وأوضح براهينه، وأظهر فوائده ورتب أفانينه، الشيخ العالم النحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني ، فلقد فك قيد الغرائب بالتقليد وهو من سور المشكلات بالتسوير المشيد، وفتح أزاهره من أكمامها، وفتق أزراره بعد استغلاها واستبهامها فجزاه الله عن الإسلام أفضل الجزاء، وجعل نصيبه من ثوابه أوفر النصيب والأجزاء، وله من المصنفات فيه كتابان أحدهما لقبه بدلائل الإعجاز، والآخر لقبه بأسرار البلاغة" وقد أكد ذلك أيضًا وليد محمد مراد في كتابه نظرية النظم حيث قال:" إن عبد القاهر قد وضع نظرية البيان لأول مرة في تاريخ الباحثين" . ولكن عبد القاهر لم يقسم هذا العلم ويبوبه وينظمه، ومن قام بذلك هو السكاكي في كتابه: مفتاح العلوم بعد أن أخذ تلك العلوم عمن سبقه من البلاغيين" ولذلك ظن بعضهم أنه هو مؤسس هذا العلم.

أهدافه

أهداف وضع علوم البلاغة:

لقد تناول العرب البلاغة بالبحث والدراسة لسببين: أحدهما فني: ففي بادئ الأمر كانت "إرشادًا وتعليمًا للذين يريدون الإصابة في القول، ورسمًا ومنهجًا للخطباء ورجال الفرق المذهبية ودعاة المذاهب السياسية والذين يتصدرون للكلام أمام الجموع الكثيرة". ومن ثم صارت لتمييز جيد الكلام من رديئه، وإظهار مواطن الجمال في الأدب، ومن البلاغيين الذين بحثوا في هذا العلم تأدية لهذا الغرض ابن طباطبا الذي ألف كتاب عيار الشعر وبحث فيه صناعة الشعر والميزان الذي به تقاس بلاغته، وقدامة بن جعفر الذي ألف كتاب نقد الشعر.

ثانيهما ديني: فبعد نزول القرآن الكريم ببلاغته التي بهرت العقول، بدأ العرب

بدراسة أسرار هذه البلاغة، بما فيها من براعة في التركيب والتصوير، وسلامة في الألفاظ وعذوبة وسهولة وجزالة، ليبرهنوا على إعجاز القرآن الكريم وليستوضحوا

أحكامه، ويتفهموا معانيه. ومن الكتب التي ألفت في البلاغة تأدية لهذا الغرض:

إعجاز القرآن للباقلاني، والنكت في إعجاز القرآن للرماني، ودلائل الإعجاز للجرجاني.

تعريف علم البلاغة

لقد عرفها الرماني بقوله: "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ" ، وعرفها القزويني المتوفى عام (739 هـ) بأنها: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته" . وعرفها أبو هلال العسكري المتوفى عام 395 ه بقوله:" البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه، كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن". وعرفها الجرجاني المتوفى عام (471 هـ) بقوله: . "البيان هو تأدية المعاني
التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون أقرب إلى القبول وأدعى إلى التأثير وّفى* صورتها وأجراس َكلِمِ ها* بعذوبة النطق وسهولة اللفظ والإلقاء والخفة على . السمع" وعرفها الآمدي المتوفى عام 370 هـ بأنها:" إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة، سليمة من التكلف، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصانًا يقف دون الحاجة، وذلك كما قال البحتري:

والشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهذر طولت خطبه

فعرفها بقوله: "البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في
السكوت، ومنها ما يكون جوابًا، ومنها ما يكون شعرًا، ومنها ما يكون سمعًا وخطبًا، ومنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها،والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة". أما السكاكي المتوفى عام 626 هـ فقد عرفها بقوله:" هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدًا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها". وعرفها ابن الأثير المتوفى عام 637 هـ مع تعريفه للفصاحة ليبين حد كل منهما بقوله: "أن الكلام الفصيح هو الكلام الظاهر البين وأعني بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومه بحيث لا يحتاج أحد في فهمها إلى كتاب لغة،
فبينما البلاغة شاملة الألفاظ والمعاني، وهي أخص من الفصاحة كالإنسان من
الحيوان، فكل إنسان حيوان وليس كل حيوان إنسان، والبلاغة لا تكون إلا في اللفظ
والمعنى معًا بشرط التركيب، لأن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة بينما
يطلق عليها اسم الفصاحة، إذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن،
وأما وصف البلاغة فلا يوجد في اللفظة الواحدة لخلوها من المعنى الذي ينتظم كلامًا.
ويضرب ابن الأثير مثلا على ما يقول، قوله تعالى: (ثم استوى على العرش يغشي
الليل النهار يطلبه حثيثًا)، فإن كل كلمة من هذه الآية الكريمة بمفردها فصيحة، لأنها معلومة المعنى، بينما البلاغة هي في اجتماع هذه المعاني

تعريف البلاغة عند المحدثين

تعاريف المحدثين:

ومن البلاغيين المحدثين الذين عرفوا البلاغة، أحمد الشايب، فقد عرفها متأثرًا

بقوله: "إن البلاغة فن تطبيق الكلام (Ginng بتعريف البلاغي الغربي (جينغ

المناسب للموضوع أو للحاجة على حاجة القارئ أو السامع". 40

أما أمين الخولي فيقول معرفًا البلاغة:" هي البحث عن فنية القول، وإذا ما كان الفن هو التعبير عن الإحساس بالجمال فالأدب هو القول المعبر عن الإحساس بالجمال، والبلاغة هي البحث في كيف يعبر القول عن هذا الإحساس" . وقال علي الجمبلاطي في تعريفها:

"أما اليوم فيقولون أنها العلم أو الفن الذي يعلمنا كيف ننشئ الكلام الجميل المؤثر في النفوس، أو يعلمنا كيف ننشئ القول الأجمل، إذ البلاغة بهذا التعريف هي التي تتكفل بتقديم القوانين العامة، التي تسيطر على الاتصال اللغوي، وهي التي توضح الطرق والأساليب التي يستطيع بها الأديب أن ينقل عن طريق الكلمات والجمل أفكاره وآراءه إلى القارئ على أحسن وجه ممكن، والبلاغة هي التي تقدم لنا جملة من القواعد التي ينبغي أن تراعى في نظم الكلام، الذي يأخذ بالنفوس، والتي تسهل عملية الاتصال اللغوي في صور من التعبير الفصيح.